٩

أطفال حول الرسول

عبدالله بن الزبير

تـأليف: مـحـمـد الـمـطـارقي

رسـوم: عبدالرحمن بكـــــــر

جرافيك: محمود نجـاح الشيخ

سلمى محـمـد فهمـى

تصحيح لغوي: عبدالرحمن بكر

المطارقي، محمد.
عبدالله بن الزبير - تأليف محمد المطارقي.
(الجيزة: شركة ينابيع للنشر والتوزيع، ٢٠١٥) .
ص ؛ سم .(سلسلة أطفال حول الرسول)
تدمك ٠-٢٧٥-٤٩٨-٩٧٧-٩٧٨
١- قصص الصحابة.
٢- القصص العربية.
أ- العنوان: ١١ش الطوبجي-الدقي-الجيزة
رقم الإيداع: ٢٠١٥/٢٢٥٠

بطاقة تعريف بالشخصية

عبدالله بن الزبير
رضي الله عنه

النسب عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

تاريخ الميلاد سنة ٢ من الهجرة.

مكان الميلاد الـمدينة الـمنورة، الحجاز، شبة الجزيرة العربية.

اللقب أمير الـمؤمنين، العائذ، فارس الخلفاء، أبو خبيب.

تاريخ الوفاة سنة ٧٣ هجرية.

معارك مع النبي محمد شهد معركة اليرموك مع أبيه، وشهد فتح إفريقية مع عبد الله بن سعد بن أبي السرح وقتل ملكها جرجير، وكان البَشِير بالفتح إلى عثمان.

فِي حَدِيقَةِ الْمَنْزِلِ جَلَسَتْ أُسْرَةُ صَدِيقِنَا حَسَّانَ؛ وَالِدُهُ .. وَالِدَتُهُ .. شَقِيقَتُهُ الصَّغِيرَةُ سَلْمَى، كَانُوا جَمِيعًا يَتَرَقَّبُونَ اللَّحْظَةَ الَّتِي سَيَنْطِقُ فِيهَا حَسَّانُ .. فَمَا أَرْوَعَ حَسَّانَ حِينَ يَتَكَلَّمُ عَنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .. إِنَّهُ بِطَرِيقَتِهِ السَّاحِرَةِ يُمْكِنُهُ أَنْ يَجْعَلَهُمْ جَمِيعًا يَنْجَذِبُونَ إِلَى صَوْتِهِ الْعَذْبِ، وَكَلِمَاتِهِ الْبَسِيطَةِ الْمُؤَثِّرَةِ.

قَالَ حَسَّانُ: نَحْنُ الْآنَ عَلَى مَوْعِدٍ مَعَ فَارِسِ الْأَشْبَالِ، ابْنِ أَبِيهِ، وَالَّذِي تَرَبَّى عَلَى ظَهْرِ الْخُيُولِ، وَكَانَ أَوَّلُ مَا نَطَقَ بِهِ لِسَانُهُ كَلِمَةَ "سَيْفٌ".

قَالَ الْوَالِدُ بِفَرَحٍ: يَا إِلَهِي، لَقَدْ عَرَفْتُهُ .. إِنَّهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.



هَزَّ حَسَّانُ رَأْسَهُ مُؤَكِّدًا: نَعَمْ يَا أَبِي .. إِنَّهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ.

صَاحَتْ سَلْمَى: هُوَ أَوَّلُ مَوْلُودٍ لِلْمُهَاجِرِينَ بِالْمَدِينَةِ.

قَالَ حَسَّانُ: كَمَا أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ لِلْأَنْصَارِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، وَعَبْدَ اللهِ بْنَ جَعْفَرْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما كَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ لِلْمُسْلِمِينَ فِي الْحَبَشَةِ.

قَالَ الْأَبُ: كَانَتْ فَرْحَةُ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ (مُهَاجِرِينَ وَأَنْصَارٍ) عَظِيمَةً وَهَائِلَةً، ذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ - لَعَنَهُمُ اللهُ - كَانُوا قَدْ أَشَاعُوا أَنَّهُمْ قَامُوا بِعَمَلِ سِحْرٍ أَسْوَدَ يَقْضِي عَلَى خُصُوبَةِ الْمُسْلِمِينَ فَلَا يُولَدُ لَهُمْ وَلَدٌ أَبَدًا، وَكَادَتِ الدِّعَايَةُ أَنْ تَصْدُقَ، وَتَوَهَّمَ الْبَعْضُ أَنَّ الْأَمْرَ صَحِيحٌ.

قَالَ حَسَّانُ: لَكِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَيَّبَ رَجَاءَ الْيَهُودِ.



قَالَ وَالِدُ حَسَّانَ: مِنَ الْأَهَمِّيَّةِ أَنْ نَعْرِفَ أَنَّ أَبَاهُ "الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ" هُوَ أَحَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ، وَأَوَّلُ مَنِ اسْتَلَّ سَيْفًا فِي سَبِيلِ اللهِ، حَوَارِيُّ رَسُولِ اللهِ وَابْنُ عَمَّتِهِ السَّيِّدَةِ صَفِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. وَهُوَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ الْأَفْذَاذِ وَالْأَبْطَالِ الْمَغَاوِيرِ الَّذِينَ تُرْوَى عَنْهُمُ الْقِصَصُ الْعَجِيبَةُ.

قَالَ حَسَّانُ: إِنَّ سِيرَةَ كُلٍّ مِنَ الزُّبَيرِ بْنِ الْعَوَّامِ وَوَلَدِهِ عَبْدِ اللهِ مِنْ أَعْجَبِ مَا تَكُونُ، بِمَا تَحْمِلُ مِنْ شَجَاعَةٍ لَا نَظِيرَ لَهَا، وَمُوَاجَهَةِ الشَّدَائِدِ وَالْأَهْوَالِ بِقَلْبٍ أَشَدَّ وَأَقْوَى مِنَ الْجِبَالِ الرَّاسِيَاتِ.

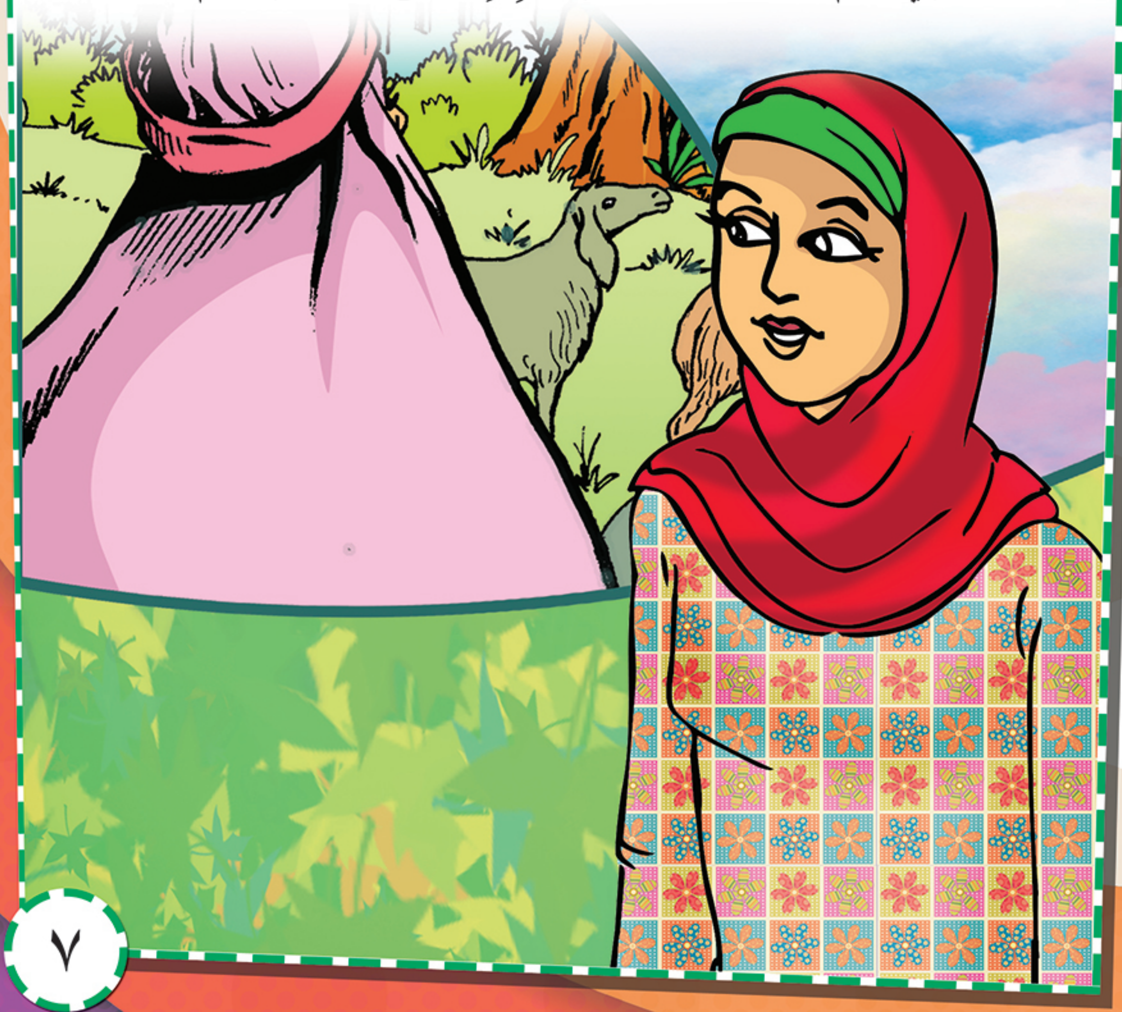


قَالَتْ أُمُّ حَسَّانَ: أُمُّ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا هِيَ السَّيِّدَةُ الْجَلِيلَةُ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ؛ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، حَيَاتُهَا كُلُّهَا سَلَاسِلُ مُتَّصِلَةٌ مِنَ الشَّجَاعَةِ وَالتَّضْحِيَةِ وَالْإِقْدَامِ.

قَالَ حَسَّانُ: نَعَمْ، فَهِيَ ابْنَةُ أَشْرَفِ وَأَكْرَمِ مَخْلُوقٍ عَرَفَتْهُ الْأَرْضُ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ" أَوَّلُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَأَحَدُ الْعَشَرَةِ الْمُبَشَّرِينَ بِالْجَنَّةِ.

قَالَ الْأَبُ: وَأَمَّا زَوْجُ أُخْتِهَا فَهُوَ سَيِّدُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَتْ سَلْمَى: وَأُخْتُهَا لِأَبِيهَا هِيَ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَجَدُّهَا لِأَبِيهَا أَبُو قُحَافَةَ الَّذِي أَسْلَمَ وَنَالَ شَرَفَ صُحْبَةِ الْحَبِيبِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



قَالَتْ أُمُّ حَسَّانَ: وَلَقَدْ كَانَ لِأُمِّ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ "عَبْدِ اللهِ" السَّيِّدَةِ الْجَلِيلَةِ "أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ" دَوْرٌ رَائِعٌ وَعَظِيمٌ مَعَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، فَإِنَّهُ لَمَّا أَذِنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْهِجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ؛ جَاءَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ: "قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ" .. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصُّحْبَةَ .. بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَالَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نَعَمْ".

قَالَتْ سَلْمَى: تَحْكِي السَّيِّدَةُ أَسْمَاءُ هَذِهِ الْقِصَّةَ بِنَفْسِهَا فَتَقُولُ: "صَنَعَتْ سُفْرَةً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ حِينَ أَرَادَ الْمَدِينَةَ، فَقُلْتُ لِأَبِي: مَا أَجِدُ شَيْئًا أَرْبِطُهُ إِلَّا نِطَاقِي، قَالَ: فَشُقِّيهِ، فَفَعَلَتْ، فَسُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ.



وَتَرَعْرَعَ الشِّبْلُ الصَّغِيرُ عَبْدُ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَيْنَ يَدَيْ أَبِيهِ الْبَطَلِ، فَكَانَتِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تُعَانِقُ مَسَامِعَهُ دَائِمًا: "السَّيْفُ، الْجِهَادُ، الشَّهَادَةُ ..".

وَكَانَ يَنْظُرُ إِلَى وَالِدِهِ وَيَمْلَأُهُ الْحَمَاسُ رَغْمَ صِغَرِهِ، فَيُحَاوِلُ أَنْ يُمْسِكَ بِالسَّيْفِ وَيَرْفَعَهُ فِي الْهَوَاءِ كَأَنَّمَا يُقَاتِلُ بِهِ الْأَعْدَاءَ، وَهُوَ يَصِيحُ بِكُلِّ قُوَّةٍ مُقَلِّدًا صَوْتَ أَبِيهِ، وَكَانَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَضْحَكُ وَقَدِ امْتَلَأَ قَلْبُهُ بِالسَّعَادَةِ لِرُؤْيَةِ صَغِيرِهِ وَهُوَ يُمَارِسُ دَوْرَ الْفَارِسِ الْمُجَاهِدِ فَيَحْتَضِنُهُ وَيُقَبِّلُهُ فِي حُبٍّ وَحَنَانٍ.



قَالَ الْأَبُ: وَكَانَ الشِّبْلُ الصَّغِيرُ يَعْبَثُ بِأَصَابِعِهِ النَّحِيلَةِ فِي جَسَدِ وَالِدِهِ، حَيْثُ مَنَاطِقُ غَائِرَةٌ وَعَمِيقَةٌ مِنْ أَثَرِ الطَّعْنَاتِ الَّتِي أَصَابَتْهُ فِي الْمَعَارِكِ.

قَالَ حَسَّانُ: نَعَمْ يَا أَبِي، وَكَثِيرًا مَا كَانَ عَبْدُ اللهِ يَضَعُ قَبْضَتَهُ فِي هَذِهِ الْأَخَادِيدِ الْعَمِيقَةِ، وَقَدِ امْتَلَأَ قَلْبُهُ بِالدَّهْشَةِ، فَيَحْكِي لَهُ وَالِدُهُ عَنِ الْمَعَارِكِ الَّتِي خَاضَهَا لِمُجَابَهَةِ أَعْدَاءِ اللهِ، وَالدِّفَاعِ عَنْ دِينِ اللهِ، وَعَنْ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَتْ أُمُّ حَسَّانَ: تَرَبَّى عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي بَيْتٍ يَحْرِصُ دَائِمًا عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْبَحْثِ عَنِ الشَّهَادَةِ.



قَالَ حَسَّانُ: وَهَكَذَا عَشِقَ الشِّبْلُ الصَّغِيرُ "عَبْدُ اللهِ" حُبَّ الْجِهَادِ، وَتَرَبَّى عَلَى الشَّجَاعَةِ وَالْفُرُوسِيَّةِ، حَيْثُ كَانَ وَالِدُهُ يُجْلِسُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى الْفَرَسِ، وَيَخُوضُ بِهِ الْمَعَارِكَ وَالْأَهْوَالَ، فَكَانَ الصَّغِيرُ يَعْقِدُ حَاجِبَيْهِ، وَيَضْغَطُ عَلَى أَسْنَانِهِ، يَتَأَمَّلُ الْمَعْرَكَةَ بِنَفْسِهِ، وَيَعِيشُهَا بِكُلِّ كِيَانِهِ، فَيَرَى وَيَسْمَعُ صَلِيلَ السُّيُوفِ وَصَهِيلَ الْخُيُولِ، وَصَرَخَاتِ الْقَتْلَى مِنَ الْأَعْدَاءِ، وَيَعِيشُ لَحَظَاتِ النَّصْرِ.

قَالَتْ سَلْمَى: وَكَبِرَ الْغُلَامُ .. وَصَارَ لَهُ مِنَ الْعُمُرِ سَبْعُ سَنَوَاتٍ، فَكَانَ يُمْسِكُ بِالسَّيْفِ فِي طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ، يُقَلِّدُ أَبَاهُ الْبَطَلَ، حَتَّى رَآهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَابْتَسَمَ وَقَالَ: "هَذَا ابْنُ أَبِيهِ".



قَالَتْ أُمُّ حَسَّانَ: يَا اللهُ، وَهَلْ يُمْكِنُنَا أَنْ نَنْسَى يَوْمَ الْيَرْمُوكِ حِينَ شَدَّ شَدَّةً عَظِيمَةً، وَحَمَلَ عَلَى جُيُوشِ الرُّومِ بِمُفْرَدِهِ، فَشَقَّ لِنَفْسِهِ طَرِيقًا بَيْنَهُمْ، حَتَّى بَلَغَ مُؤَخِّرَةَ الْجَيْشِ عِنْدَهُمْ.

ضَحِكَ حَسَّانُ قَائِلًا: نَعَمْ، ثُمَّ اسْتَدَارَ بِفَرَسِهِ، وَرَاحَ يَضْرِبُ بِسَيْفِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَيَشُقُّ لِنَفْسِهِ طَرِيقًا لِلْعَوْدَةِ إِلَى إِخْوانِهِ الْمُسْلِمِينَ.

قَالَتْ سَلْمَى: ثُمَّ فَعَلَهَا مَرَّةً ثَانِيَةً، وَعَادَ إِلَيْهِمْ مِنْ جَدِيدٍ، فَامْتَلَأَ النَّاسُ بِالْحَمَاسِ وَهَجَمُوا عَلَى الرُّومِ وَأَلْحَقُوا بِهِمُ الْهَزِيمَةَ.



قَالَ حَسَّانُ: فِي يَوْمٍ جَمَعَ الشِّبْلُ الصَّغِيرُ . وَالَّذِي لَمْ يَتَجَاوَزْ عُمُرُهُ السَّابِعَةَ أَوِ الثَّامِنَةَ . حَشْدًا هَائِلًا مِنَ الْغِلْمَانِ، وَقَالَ لَهُمْ: لِمَاذَا لَا نَذْهَبُ لِنُبَايِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا فَعَلَ الرِّجَالُ.

قَالُوا: نَفْعَلُ.

فَقَادَهُمُ الشِّبْلُ الصَّغِيرُ عَبْدُ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَدَخَلَ بِهِمُ الْمَسْجِدَ.



قَالَ وَالِدُ حَسَّانَ: نَعَمْ، لَقَدْ كَانَ مَنْظَرًا عَجِيبًا حَقًّا، أَثَارَ دَهْشَةَ الْحَاضِرِينَ بِالْمَسْجِدِ، حَتَّى إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَظَرَ إِلَيْهِمْ وَتَعَجَّبَ، وَإِذَا بِهِمْ يَتَّجِهُونَ نَحْوَهُ، وَيَقِفُونَ أَمَامَهُ لِيَتَقَدَّمَهُمْ عَبْدُ اللهِ وَيَقُولُ: جِئْنَا نُبَايِعُكَ يَا رَسُولَ اللهِ كَمَا بَايَعَكَ الرِّجَالُ!!

قَالَتْ سَلْمَى: تَبَسَّمَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ الشَّرِيفَةَ، وَرَاحَ يُبَايِعُهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا.



قَالَتْ سَلْمَى وَهِيَ تَبْتَسِمُ: مِنَ الْمَوَاقِفِ الطَّرِيفَةِ الَّتِي حَدَثَتْ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وَالَّتِي تَدُلُّ عَلَى مَدَى شَجَاعَتِهِ، وَشِدَّةِ ذَكَائِهِ بِرَغْمِ صِغَرِ سِنِّهِ أَنْ خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَمُرُّ فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ عَلَى أَطْفَالٍ يَلْعَبُونَ، فَلَمَّا رَأَوْهُ هَرْوَلُوا وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا وَاحِدًا وَهُوَ عَبْدُ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لِمَ لَمْ تَهْرَبْ مَعَ أَصْحَابِكَ؟

فَقَالَ بِشَجَاعَةٍ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: لَمْ أَفْعَلْ ذَنْبًا فَأَخَافُكَ، وَلَمْ تَكُنِ الطَّرِيقُ ضَيِّقَةً فَأُوَسِّعَهَا لَكَ.



قَالَ الْأَبُ: اشْتُهِرَ ابْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِكَثْرَةِ الْعِبَادَةِ حَتَّى أَطْلَقُوا عَلَيْهِ لَقَبَ "حَمَامَةُ الْمَسْجِدِ".

قَالَتِ الْأُمُّ: وَكَانَ صَوَّامًا قَوَّامًا .. أَيْ كَثِيرَ الصِّيَامِ .. كَثِيرَ قِيَامِ اللَّيْلِ.

قَالَتْ سَلْمَى: مَا أَرْوَعَهُ وَمَا أَرْوَعَ سِيرَتَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .. شُكْرًا لَكَ يَا حَسَّانُ أَنَّكَ تُذَكِّرُنَا بِهَؤُلَاءِ الْعُظَمَاءِ، وَلَسَوْفَ أَعُودُ إِلَى الْكُتُبِ لِأَقْرَأَ عَنْهُ أَكْثَرَ.

قَالَ حَسَّانُ: إِنْ شَاءَ اللهُ سَيُكُونُ لَنَا لِقَاءٌ آخَرُ مَعَ شَخْصِيَّةٍ أُخْرَى مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَخْيَارِ الْأَطْهَارِ.

قَالَ الْجَمِيعُ فِي صَوْتٍ وَاحِدٍ: رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

